ثم إن خبره نمي إلى الوالي، فملأ فاه باللآلي، وسامه أن ينضوي إلى أحشائه، ويلي ديوان إنشائه، فأحسبه الحباء، وظلفه عن الولاية الإباء. قال الراوي: وكنت عرفت عود شجرته، قبل إيناع ثمرته، وكدت أنبه على علو قدره، قبل استنارة بدره، فأوحى إلي بإيماض جفنه، أن لا أجرد عضبه من جفنه. فلما خرج بطين الخرج، وفصل فائزا بالفلج، شيعته قاضيا حق الرعاية، ولاحيا له على رفض الولاية، فأعرض متبسما، وأنشد مترنما:

لجوب البلاد مع المتربه ... أحب إلي من المرتبه

لأن الولاة لهم نبوة ... ومعتبة يا لها معتبه

وما فيهم من يرب الصنيع ... ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب ... ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه ... وأدركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة وتعرف بالبرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال: أزمعت الشخوص من برقعيد، وقد شمت برق عيد، فكرهت الرحلة عن تلك المدينة، أو أشهد بها يوم الزينة. فلما أظل بفرضه ونفله، وأجلب بخيله ورجله، أتبعت السنة في لبس الجديد، وبرزت مع من برز للتعييد. وحين التأم جمع المصلى وانتظم، وأخذ الزحام بالكظم، طلع شيخ في شملتين، محجوب المقلتين، وقد اعتضد شبه المخلاة، واستقاد لعجوز كالسعلاة. فوقف وقفة متهافت، وحيا تحية خافت، ولما فرغ من دعائه، أجال خمسه في وعائه، فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الأصباغ، في أوان الفراغ. فناولهن عجوزه الحيزبون، وأمرها بأن تتوسم الزبون. فمن آنست ندى يديه، ألقت ورقة منهن لديه. قال: فأتاح لي القدر المعتوب، رقعة فيها مكتوب:

شعر

لقد أصبحت موقوذا ... بأوجاع وأوجال

وممنوا بمحتال ... ومحتال ومغتال

وخوان من الإخوا ... ن قال لي وقالي

وإعمال من العمال ... في تضليع أعمالي

فكم أصلى بإذحال ... وإمحال وترحال

وكم أخطر في بالي ... ولا أخطر في بال

فليت الدهر لما جا ... ر أطفالي أطفالي

فلولا أن أشبالي ... أغلالي وأعلالي

لما جهزت آمالي ... إلى آل ولا وال

ولا جررت أذيالي ... على مسحب إذلالي